

الفن

والتربية الفنية



بندر محمد عبد العزيز الغفيلي

المقدمة

تظهر المواهب والاستعدادات الفنية مع الفرد منذ صغرة وتنمو وتتسع كلما تضح وازداد تخصصاً وعمقاً ، فبعض المواهب الفنية تستند إلى القوى فطرية في طبيعة الكائن الحي وتجدد معه في تطور ذي ابعاد مختلفه منها مروثة غير أن هذه الموهبة تختفي نتيجة تدخل الكبار والتأثيرات الخارجية الاخرى التي تجبر الفرد على التقليد والمحاكاة الأشياء ، فتستحوذ هذه التأثيرات على اهتمامته وحرية في التعبير ولي تسمح له أن يتسثمر هذه المواهب وهي النعمة الالهية التي انعمه الله بها استثناء طبيعياً وبشكل صحيح ولكن بعض الاحيان تظل خيوط هذه المواهب موجودة عند بعض الأفراد ويستطيع المعلم الذكي الفهم أن يتكشفها حينما يتأمل رسوم الأطفال وبتعمق في دراستها وأن تأكيد المواهب شيء مميز لشخصية الفرد وإن امكانية تنمية هذه المواهب وبلورتها عند الفرد إذا كان بدأنا بها مبكراً من الطفولة فلا بد أن يبدأ فيها من المراحل الاولى لنمو الطفل في الرسم وتنمو ذه الموهبة تلقائياً فيمر بها الفرد بمراحل نمو تفكير مختلفة وخضع فيها لعمليات عقلية متطورة .

ولقد اثبت لنا علم النفس الحديث أن لكل فرد أفكاراً في الرسم تختلف عن غيره وإذا نحن لم نعن بطبيعة هذه الأفكار وبتحولاتها وتغيراتها فاننا حتما سنفشل في تحقيق اهداف التربية الفنية وظاهر من هذا ان تعلم الفن ليس له فكر ثابت لايتغير ولايتغير ولا يخضع لطريقة معينة كاخضاعه مثلاً للطريقة البصرية المرئية المتعلقة بالجوابن الموضوعية وهي الحالة المتبعة إلا أن في مدارسنا على اختلاف مراحلها الدراسية ففي هذه الطريقة لايمكن ان نحفظ بمواهب الفرد وننميها في الابتكار .

أن تعليم الفن في مدارسنا يتوقف على استعداد الفرد ومعرفته مواهبه الفنية الذاتية الغريزية الاصلية الموروثة منها وغير الموروثة التي تميز الشخصية وأن هذه

المواهب تنمو تبعاً لعمليات تفاعل الفرد مع الحياة المحيطة به واكتساب الخبرات الحديده بعيداً عن التأثيرات الخارجية وعلى ذلك فليس من الصحيح أن نخضع الفرد في التعليم للطريقة البصرية طالما أن استعدادته واتجاهاته الذاتية في الفن متغيرة لان الطريقة البصرية طريقة الية لاتدفع الفرد إلى التجديد او التغيير فيضطر لمجابهة الحياة بروتين وأقعي معروف ومألوف لدينا وفي هذه الحالة ينشأ الفرد وسلوكه الإنساني لايتصف بالابتكار ولا تتضمن شخصيته الاصاله وإلى جانب ذلك فان الشخصية الفرد لاتكون اصيلة إلا إذا ارتبط بيئته بترائه وبتربيته وحضارته وبتقافته .

ونهدف في هذا البحث الي تكوين الشخصية الفنية الاصلية عن الفرد مبكرا وخلق احساس ووجدان جديدين مرتبطين بترائه وثقافة بيئته العربية نسكبه من خلالها هويته القومية وخصوصيته ويحس بانسانيته وادميته وقد يكون من المفيد جدا ان تتظافر الجهود لدي المعنين بالتربية الفنية والفن التشكيلي لمحاولة تغيير وايجاد رؤية جديدة للفن التشكيلي والتربية الفنية تتحول فيها وظيفة الفن في التعليم من وظيفة تقليدية لتمثل الطبيعة إلى وظيفة ابداعية للخروج من أطار الفن التقليدي الواقعي والتحرر من قيوده والخروج من ضياع الشخيفية الناتج عن متاهاته وفي حالة هذا الكتاب ادعوا إلى اعطاء الحرية للطفل في الرسم ومنحه الفرص الملائمة للبحث والتجربة لانما تفكيره وخياله وذاكرته داخل اطار البيئه فان الاستثمار الكامل للفرص التي يوفرها البيت توفرها المدرسة للطف لان يجرب بادواته وخاماته الموجودة في بيئه قد يواصله إلى اكتشاف اساليب جديدة لقد بدانا في الوقت الحاضر نتلمس وعيا عميقاً بما فيه الحداثة والتجديدة في تدريس التربية الفنية ويزداد هذا الوعي يوما بعد يوم وراحت ادعوات المفكرين والمتقنين ورجال الفن والتربية الفنية الاخيرة تكشف عن وعي متزايد باهمية انتماء الفن إلى الارض والهوية القومية بوصفها دعوات مشروعة حضارياً ولابد لعصرنا هذا ان يشهد ميلاد جديد الفن حياتن العربية المعاصرة ولذا فان دعواتنا ورؤيتنا هذه تتطلب ان تتحول وظيفة الفن في معاهدنا وجامعتنا من شكلها التقليدي لمناهج الغرب وتراثه وثقافته إلى تستخلص القيم والخبرات من تراثها الفني

الذاخر بالجمال واعتماد الفكر والتراث والثقافية العربية في مناهجنا التعليمية وهذا ما يمنح رؤية جديدة لها تماسكها وبرنامجها الواضع وخصوصيتها القومية وفي حالة انما وعية بتراثه الفني وابعاده عن اي تاثير خارجي تجعله يبتكر ويبدع في فنه وتصبح تعبيراته الفنية فيما بعد انعكاسا غنيا لقيم الماضي والحاضر وبهذه الطريقة نستطيع أن نشكل الشخصية القومية مبكراً عند طلبتنا .

وظيفة الفن في التعليم:

هي تحويل ما يوجد في نطاق تفكير الفرد إلى صورة اجمالية باساليب فني شتى وتشجيع ما هو فردي في الاسلوب واكتشاف المواهب الفنية الابداعية وصقلها ووظيفته ابداعية تعد الفرد المبتكر الحساس التدنوق للجمال وتعمل على اطلاق العنان لانفعالاته ليفصح عما يدور داخل عقله وذاته وهي عملية تنفيس عما هو مكبوت داخله حيث للفن عناصر تعبيرية ايقاعية شعرية ذاتية شأنه شأن الشعر الموسيقي يوفر لحواس الانسان اكبر قدر من اللذة النفسية والاستمتاع الجمالي ينسي الانسان فيه همومه ومشاكله فترة اندماجية في العمل الفني ويعيش وكأنه بمعزل عن تعقيدات الحياة ومشاكلها .

ودروس الفن هي جزء من العملية التربوية ومكملة لها وتقوم بمهمة تطوير ونمو القابليات الفنية لابتكارية عند الافراد لتكسبهم اتجاهات فنية جديدة تتكيف مع ظروف عملهم وبيئتهم وتمنح لهم الفرص في أن يعبروا عن خصوصيتهم في الرؤية والتفكير والاكتشاف وتنمي عندهم الحرية في التعبير الفني ليعبروا عن مشاعرهم وفكارهم وانفعالاتهم الذاتية بما يرضي حاجاتهم ورغباتهم وتمنح لكل فرد حقه الشرعي في ممارسة الاسلوب الفني الذي يرغبه وتوجه الفرد نحو التعبير عن موضوعات الفضيلة والخير والانسانية وتغرس المثل الخلقية في نفوس الافراد وتزيد وعيهم بالتراث الفني بما تقدمه من داعائم وقيم ومفاهيم وامثله عن فنوان الاجداد واساليبهم الفنية المبتكرة وغرس قيمتها الجمالية في اعمالهم وتتضمن وظيفته ايضاً إلى خلق شكل جديد من التعبير الفني غير المؤلف يكون فيه الفرد قادراً على الابداع والابتكار وغير خاضع للتأثيرات الخارجية والاجنبية ويعبر الفرد عن موضوعات ذات صلة ببيئته وتراثه

كيف ينمو الفن عند الانسان

ينمو الفن عند الانسان تلقائياً شأنه شأن وسائل التعبير الاخرى كاللغة والكتابة من حيث ان له عناصر تعبيريه مختلفة وان ادوات الفكر والادراك والعمل الجسمي وهو جزء من العملية التربوية المتعلقة بالتطور الانساني في العلم والمعرفة وكشيء متميز من الانشطة الاخرى وله وظائف سايكولوجية وفسولوجية ويعتبره علماء النفس والفسولوجيا شيئاً مهماً في حياة الانسان والفن وجد بواقع مميز بحياة الانسان لايمكن الاستغناء عنه فهو يوفر للحواس اكبر قدر من الراحة النفسية وفيه تبرز المواهب الفنية ويكتسب الانسان وعياً بتذوق الجميل ومعرفة القبيح وقد يقاسي معظم اطفالنا من الحرمان في ممارسة نشاطاتهم الفنية في البيت والمدرسة بسبب الاهتمام من قبل ابائهم وامهاتهم وكثير من الناس لم يكونوا قد تعلموا كيف يستفيدون من وقت فراغهم في تنمية تفكيرهم وخيالهم وذوقهم وأحاساسهم في الفن

ماهية فنون الاطفال

١ - أهمية الفن بنسبة للطفل:

الطفل عندما يرسم يفكر ويتأمل ويوقفك معه في لحظات التأمل فترة يخلق موقفاً يدعو للتفكير وتعييس معه وتخرج منه بالحكمة يريد ان يوصله إلى ادراكك وان رسومه هي ثمرة عناء من التأمل والتعميق والادراك الحسي ويقول ببياجه ان الطفل يفكر ويلاحظ وهو يرسم فعقله يربط ذاته بالاشياء اعني بمحتويات سلسلة من الفكر من ارتباطه بشكلها فهو يناقص نفسه اكثر من فقده التحكم في الحقيقة

فان ايه فكرة يخرجها الطفل في رسمه تحمل إلى حدا ما خيطا من الاصاله والاصالة تزداد وتتعلم كلما تأكدت شخصية الطفل ولاحت في عمله خبراته السابقة وجذور الماضي والاصالة تقوده إلى الشخصية ذات طابع فريد والفن بنسبة للطفل وسيلة يعبر بها عن افكاره ومشاعره وعواطفه واحاسيسه وانفعالاته حول الاشياء الخفية في دخله والاشياء الظاهرة امامه وهو المنفذ الوحيد للتفيس عن همومه ومشاكله وعن ماهو مكبوت في داخله والمنفذ لمخيلته الحية القوية والفن موهبة قابلة للتغير والتطور والتجديد ولايملكها الا الفكر الدائب الحركة الحريص على ان يصل إلى الكمال وكلمما توغلنا في رسوم الاطفال الرسم فانه يشغل فكرهم وعقلهم وحواسهم فينسبون فيه همومهم ومشاكلهم فترة اندماجهم في العمل الفني يعيشون وكانهم بمعزل عن تقييدات الحياة ومشاكلها .

كيف ينظر إلى الفن واهميته

ينظر إلى فن الطفل بأنه عملية تفكير ابداعية خلاقة متدرجة مصوحبة بنمو عقلي وفيه تعبير عن مشاعر الطفل وانفعالاته الذاتية ورسوم الطفل الحرة تتسم بالتلقائية والنقاوة والحيوية فهي تعبير كشيء ذي اهمية عند الاطفال وتعبير عن طفولتهم البريئة واحد اشكال انشاط العقلي وفي ضوء نتائج الدراسات والابحاث

الجديدة في اساليب التدريس للتربية الفنية ظهر ان الرسم بالنسبة للطفل عملياته ذهنية وخيالية وليست بصرية تتضمن انماط فنية كثيرة لا يستطيع البصريون معرفتها وتتمو هذه الانماط وتتبلور عند الافراد منذ الطفولة وظهر ان الطفل عندما يرسم ينظر إلى الاشياء بكفره وفي عقل الطفل خزين من الموضوعات فتمت ماثيرت عندها تخرج وتحمل في طياتها حياة طفولته التي عاشها وتتضمن هذه الموضوعات احيانا احلامه الاشعورية الذي ينفس فيها عن افكاره خطوة خطوة وتغير الفن عند الطفل ويتجدد طالما ان افكاره دائب الحركة وفي تغيير مستمر وكلما ازداد بحث الطفل عمقا وتوغلاً في تجاربه في الفن استطاع ان يكتشف اسرار تنبئ عن شخصيته وتمهد مستقبلاً إلى خلق فن اصيل في نوعه بعيد عن اي تأثير خارجي ودروس التربية الفنية تشكل موقفاً تكاملياً في عملية التعليم وبهذا التكامل سوف نحصل على اشخاص متزنين عقلياً وسايكولوجياً ويكونون قادرين على ربط حياتهم بالقيم الجمالية وهذا شيء متميز عندهم من النشاط الفني المعتمد على الجمال في جملة وهذا النشاط الذي تعززه وتشجعه المؤسسات التعليمية عندهم وتعتبر وظيفة مهمة في حياتهم وكوسيلة تربوية في غرس المثل الخلقية في افرادها والرسم بالنسبة للطفل هو هو تعبير عن مشاعره وانفعالاته وعواطفه التي تنسم بها ايقاع حياته لاطهارها للاخرين كالتعبير عن الغضب والخوف والحب والكرهية والفرح والحزن والخجل وجميع درجات الانفعال والسلوك الاخلاقي والعقلي التي لانهاية لها .

ان الحساس بقيمة واهمية رسوم الاطفال والاستنهاض باسمى مال الدنيا من امكانيات في زيادة القدرة عند الطفل للابداع فيه ضروري ومنصف ولا يصح لنا ان نضحى برسوم الاطفال الحرة التلقائية وساقاطتها على حساب الرسم الواقعي ونجعلها تصطبغ برسوم الكبار فتفقد بذلك الرؤيتها الحقيقية وخصائصها الطفولية المميزة وبرائتها الاصلية وتفقد نقاها وصراحتها وتنظيمها وفرديتها فالاطفال عندما يركون احرار يتسطنوع ان يقدموا لنا رسوما تعير عن احسايسهم الانفعالية والجسمية فتظهر عندهم احيانا تعبيرات

غير مرتبة تفسر خصائص معينة يطلق عليها البعض بالتصورات المجردة
وإذا نحن لم نكن علي وعي واضح بما تتضمنه رسوم الاطفال الحرة
وتجرداتهم المجردة والرمزية غير الظاهر للعين فان دراستها برقها زئفة ولقد
تأكد لعماء النفس ان التعبيرات التي يعبر بها الاطفال في رسومهم ماهي الى
انعكاسات لاشياء شاهدوها من قبل وتركت اثار في مخهم فهم يستطيعون ان
يعيدوا انتعاشها عندما تثار لهم اويمكن استدعها من قبلهم كخبرة جديدة اما ما
يعبر عنه بعض الاطفال عن اشياء فريدة وغريبة انما تعذي الى وجود عقل
متمتع بالبراعة في الابتكار وهذه الاشياء المتجددة مختبئة غالباً في العقل
الواعي واذا ما فتحت ابواب هذا العقل فنرى وجود تلك الاشياء وان ماينبغي
ان ندركه هو:

ان الرسم بالنسبة للطفل هو احد اشكال النشاط العقلي يضاء حجات المخيلة
وينشط جسم الفكر ويزيد الاهتمام بالشعور الوجداني وان الافكار التي يجسدها
الطفل بالرسم على الورق تعتبر الغازا يصعب علينا حلها احياناً والطفل
الموهوب تظهر اشكاله والوانه بصورة يشبها نوع من الغموض وهذا لايجعلنا
نستطيع تفسير كل شيء يرسمه تفسيراً منطقياً واعياً وفي الواقع ان الطفل يجد
راحته العقلية والنفسية عندما يرسم وكشف لنا محللون نفسانيون النقاب عن
كثير من الجوانب النفسية المختلفة في رسوم الاطفال وذلك ان هذه الجوانب
يمكن تميزها ومعالجتها عند الطبيب النفسي وبقاؤها يؤثر في تكوينه العاطفي
والنفسية وهنا تظهر اهمية الرسم بالنسبة للطفل كنشاط جديد لتفريغ الشحنات
السلبية داخله والتخلص عما يشعر به من توترات

واته من المؤسف جدا ان ترى من خلال متابعتنا لدروس التربية النفسية في
مدراسنا الابتدائية ان نمو الطفل في الفن اصبح يخضع لافكار الكبار اي ان
مقياس نمو الطفل يترجم من زاوية فكر الكبار بمعنى الغاء فن الطفل وتأكيد
فن الكبار متناسين ان حياة الطفل في الفن حيوية مستمرة تلقائية .

نمو الفن عند الطفل

ينمو الفن عند الطفل بنمو معرفته وملاحظته للأشياء وبنضج فكره وذكائه والنمو هو زيادة قدرة الطفل على الالتقاط الصور في العالم الخارجي المحيط به والتعبير عنها في الفن بصورة فريدة وتختلف الاطفال في تعبيراتهم الفنية نسبة إلى ماينطبع في اذهانهم من خلال رؤيتهم للعالم الخارجي فهناك عدد كبير من الصور الذهنية التي تلقها الطفل من خلال نظرتة إلى العالم المحيط به تختزن بالعقل أي انها كامنة بلاشعور وهو ذلك الجزء من العقل الذي لاندرکه بطريقة مباشرة خلال الاحوال العادية تفصح هذه الصور عن اشياء واقعية أو رموز أو تجريدية أو تعبيرية وتظهر هذه متى ماطلب منه التعبير بالرسم عن موضوع ما فيستدعي ذاكرته وتظهر احيانا في الاحلام خلال النوم وفي حالة الاسترخاء الذهني وهذا الاشياء لايمكن ان يدركها المعلمون غير المؤهلين تربوياً ونفسياً فينشأ توجيهه الخاطئ تخريب في توازن نمو وبناء العقل المبدع لدى الطفل وينبغي ان يدرك المعلم المختص بالتربية الفنية بان مايفهمه الطفل في عقله ليس كما يفهمه الكبار ومايفكر به الطفل في الفن لايفكر به الكبار وان للموضوع الفني الذي يفكر فيه الطفل له خصائص لاتكون ظاهرة للعين بطريقة مباشرة ومضامين لايمكن ان يدركها وان الفارق بين التمثل الواقعي للأشياء والتعبير عما هو مطبوع في ذهن الطفل هو ان الاول يدفع الاطفال لان يستعيروا اشكالا بدلا من ابتكار اشكالا خاصة بهم .

رسوم الاطفال من جهة نظر علم النفس :

يتفق علما النفس ان الفن يساهم في نشاط الطفل العقلي والمعرفي وفي الوظائف العقلية العليا والادراك وهو تعبير عن حياته الانفعالية ولايفق اهمية دور الفن عند هذه الجوانب النفسية والعقلية في شخصية الطفل اجتماعيا عن طريق ربط ادراكه بالمجتمع المحيط وتاكّد لدى الباحثين والدارسين النفسانيين القدماء والجدد من رسوم الاطفال الحرة تتسم معرفة سلوكية وذكائية وفيها اسرار وخفايا نفسية كثيرة اكتشفت بعضها وقد تمكن هؤلاء الباحثون من معرفة قدرات الاطفال المختلفة عامة ومعرفة شخصيتهم وحالاتهم النفسية والعقلية والجسمية التي يتنفسون عنها اثناء تعبيرهم في الرسم ومعرفة انماطهم

السايكولوجية وهذه الامور النفسية لاتدرك إلى من خلال التحليل النفسي ولايمكن تفهما الا في سياق ثقافة متقدمة ودراسة سايكولوجية عميقة في رسوم الاطفال فالمحلل النفساني يتمكن من خلال دراسة رسوم الطفل تشخيص المرض الذي ينتاب الطفل ومعرفة اسبابه لعل يكون سببه مؤثرات بيئية سلبية اثرت في نفس الطفل فتولدات لديه نزعة عصابية.

وظهر اخيرا بابحاث العديد من علماء النفس المهتمين برسوم الاطفال ما ياتي

:

ان رسوم الطفل الحرة تكشف عن اعماق جديدة في النمو العقلي للطفل وخصائصهم وعالمهم الخاص بهم وهذه الخطوط والعلاقات الرمزية اسقاطية فيقول علماء النفس ان الطفل يشاهد الصور الذهنية في عقله فيتزجها الى خطوط رمزية مجردة بايقاع حركي هندسي فريد اي انه يستحضر صور ذهنية اسقاطية بشيء ماقد يصعب عليهم تحديد مصدره وبمعنى آخر قد يصعب على الكبار قراءة رموزه ولكن هذه الصور الذهنية الاسقاطية تفقد حيوتها وتفردتها اذا تدخلت رغبات الكبار وفرضت عليه ان يرسم صورا واقعية تقليدية

اذن يكون من الصعب على الكبار تحديد العلاقة الدقيقة بينها وبين الصور هنية في عقل الطفل ويضاف إلى ذلك ان تدخل الكبار في شؤون الاطفال مقارنة وتخطيطاتهم ورموزهم بالرسم التشبيهية قد ينتهي نشاطهم الحركي تخطيطي اسقاطي هذا الى نشاط مفتعل لايمثل حقيقة الطفولة وميزيتها اما عندما يتدخل الكبار ويصبح الطفل مستقل برسومه فانه سيحصل تغيير كبير في هذا لم ترابطها تجريدية تخيلية يحتمل انها تقوم مقام عناصر عقلية غير وهي ناتجة بضغط الشعور والاحساس الداخلي الذاتي

توجيه فن الطفل نحو الابتكار :

ولكي ننحو بفكر وعقل الطفل في المرحلة الابتدائية في افاق جديدة ونمكنه من الابتكار والاكتشاف ونمنحه قدرة عقلية وحسية وخيالية يصور الاشياء في اطار واسع وفي عالم جديد غير العالم المألوف طبقا لمفهوم الرؤية العصرية

ونكسبه سلوكا اخر بات من الضروري بعاده عن المنظورات وتقنياتها المصطنعة وقواعدها التحكمية ويحل محل تدريب فكر الطفل تدريجا ذهنيا وعقليا من خلال تعبيراته التجريدية والرمزية المتطورة لتمتج بما هو خيالي متصور عقليا

هذا فان الاهمية التربوية للتصورات التجريدية والرمزية واضحة باعتبار تشكيلاتها الفنية معبرة عن مزاج الطفل وشخصيته ويكون لها وظيفة مساعدة في عملية التفكير عنده فالصور التجريدية الذهنية التخيلية هي افضل الاشكال اكتمالا للتمثل العقلي وتشير هذه الصور الى اشياء مبتكرة فريد قائم بذاته فلا يمكن للكبار ادراك مغزاها وتبزغ بالمصادفة وكلها حيوية

في الواقع ان الطفل يجد راحته العقلية والنفسية عندما يرسم رسوما حرة مبتكرة وكشف لنا محللون نفسيون النقاب عن كثير من الجوانب النفسية المختلفة في رسوم الاطفال المبتكرة ذلك ان هذه الجوانب يمكن تمييزها ومعالجتها عند الطبيب النفسي وان هذه الجوانب النفسية اذا لم تجد لها متنفسا عند الطفل او علاجا فانها تؤثر في تكوينه العاطفي والنفسي وهنا تظهر اهمية الرسم المبتكر بالنسبة للطفل كنشاط جيد للتفريغ الشاحنات السلبية داخله والتخلص عما يشعر به من توترات .